

وعلاقتها الاجتماعية والسياسية وحتى العاطفية ،
 وحيادي حيال قضية الاحتلال . الا ان حياده هذا
 يقوده الى طريق مميتة بالالام لانه يرى الواقع
 الفعلي لجرى الامور ويدرك ان موقفه الحيادي
 ليس الا وهما . فالحياة بالنسبة اليه « عزيزة »
 وحبها معتول « ، و « مصر عزيزة » ايضا ،
 الا ان حبها « لا معقول » . آه يا بلدي . أين
 انا من هذا كله ؟ لا همة ولا موقع يصلح للعمل ولا
 بقية من عمر ... » .

● أما الثورة وابتاؤها ، فهي في واد ، وهم في
 واد آخر . الثورة حاضرة في الرواية ، ولكن
 احتضانتها لشخصياتها — أي الشعب — يتم بشكل
 غير مباشر . ابتاؤها هم (حامد) « المتهمون »
 بالشيوعية ، أما الثورة فهي التي لا تزال تحتفظ
 بعلاقات صداقة قديمة مع بقايا الاقطاع (ملاحة
 « صفوت » القيادي بالاتحاد الاشتراكي مع « حسن
 حموده ») ، ولا يوضح نجيب محفوظ في روايته
 أصل هذه الصداقة ، او المصلحة التي تدفع
 اطرافها للحفاظ عليها ، ما عدا كون هذه الاطراف
 تلقتي كي تثرثر حول موائد الطعام والدعوات
 وتحتمي كؤوس الخمر .

● المساة في الرواية هي عند الجنود ابناء
 الطبقة المسحوقه . فهم على خط النار ، والناس
 على خط آخر . « لا يشعر بنا سوى أهلنا » يقول
 « ابراهيم » العائد من الجبهة لاخته « عليات »
 خلال نزهة يتومان بها في احد شوارع القاهرة .
 ومأساتهم ايضا في انهم الوحيدون الذين يتعرضون
 للموت والتشويه ، اذ يفقد « ابراهيم » بصره
 ولا يبقى له من الدنيا الا حب « سنية » التي
 أقسمت ان لا تتخلى عنه . ومأساتهم ايضا في
 السؤال الكبير الذي لا جواب له : « الى اين
 تمضي الدنيا ، الى اين ؟ حرب أم سلام ؟ » ،
 ومأساتهم ايضا وايضا انهم الوحيدون الذين يغذون
 نار الحزب من اجسادهم وارواحهم ، وانهم ابناء
 الطبقة الفقيرة . فوالد « ابراهيم » المجتد هو
 « العم بدران » ، عامل المقهى ، وصديق
 « عشاوي » ماسح الاذنية و « شارب دماء
 الانكليز » ايام العز والشباب ، الذي كان « لا
 ينام على ضيم » ، والذي يحدثه قلبه ان اولاد
 الاغنياء لا يرسلون الى الجبهة و « لا يكتوون
 بنارها » .

ينصيد النجوم ويتحين الفرص في الوقت ذاته .
 فهو يشجع الذكور ويغوي الاناث كما يتمنى ويرغب
 في ان تستمر « الاوضاع الداخلية على حالها »
 دون تغيير بغية تحقيق بعض المكاسب والمخاسم
 الشخصية . انه يصور فيلما عن الجبهة المصرية ،
 أفرد دور البطولة فيه « لمرزوق انور » ، الطالب
 الجامعي المتخرج حديثا ، والذي اغواه بهذا الدور
 وكان من نتيجته ان دمر حياته وحطم احلامه .
 والمخرج لا يرغب بتصاعد درجة سخونة الجبهة ،
 انه يريد ان تبقى كما هي — لا حرب ولا سلم —
 والا فضل مشروع فيلمه التجاري . انه — والطبقة
 البرجوازية المتوسطة معه — يفضل الاثراء ونجاح
 فيلمه على عودة السخونة الى الجبهة وبدء القتال .

● أما البرجوازية الصغيرة المتمثلة خير تمثيل
 « بنى زهران » المتردة والتي تعاني من مصاعب
 حيرة شديدة ، لا تعرف ماذا تريد . هل تريد
 الزواج ؟ « منى زهران » تتخلى عن خطيبها تارة
 وتعود اليه تارة ، لتتركه ثانية وتفكر وتعتزم
 الهجرة . ولكنها تبقى في مصر وتطلب ود صديقاتها
 من بنات الشعب (عليات وسنية) وتتحدث عن
 مشاكلهن بحماس احيانا وبقرق وبرود ومخزية
 احيانا اخرى . انها الفتاة التي يطلب ودها المخرج
 السينمائي (البرجوازية المتوسطة) حينما ،
 والمحامي « حسن حمودة » (بقايا الاقطاع) حينما
 آخر . الا ان أيا منها لم يفز بها . انها تتخطب ،
 كالطير المذبوح ، تحت وقع الهزيمة القاسي ،
 هذه الهزيمة التي وضعتها في ورطة مذهلة ، نباتات
 غير قادرة على الفهم وتركت مهمة التفكير لنزواتها
 الى ان ارتكب اخوها جريمة قتل ذهب ضحيتها
 المخرج السينمائي .

● « حسني حجازي » هو الشخصية المركزية
 في الرواية التي تحدثنا عنها اتفا . فهو عانس
 ومصور سينمائي للانلام الوثائقية . علاقته مترامية
 الاطراف ، تبدأ من ماسح الاذنية « عشاوي »
 وتنتهي ببقايا الاقطاع (حسن حموده والسحاوية
 سمراء) . « حسني حجازي » ليس له اي دور
 في الرواية ، بل ان كاميراته هي التي تصور وتروي
 العلاقات القائمة بين شخصيات الرواية دون ان
 يكون له أي دور مؤثر في طبيعة تلك العلاقات .
 ويعبارة اخرى ، هو الحيادي الوحيد ، بل هو
 الحياذ بذاته . حيادي حيال شخصيات الرواية .